بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة للشيخ الأستاذ محمد خير الطرشان

**المسارعة في الخيرات**

الحَمدُ للهِ ثُمَّ الحَمدُ لله ، الحَمدُ للهِ الذِي هَدَانَا لِهَذَا ، وَمَا كُنَّا لِنَهتَدِيَ لَولا أَنْ هَدَانَا الله ، يَا رَبَّنَا لَكَ الحَمدُ كَمَا يَنبَغِي لِجَلَالِ وَجهِكَ وَعَظِيمِ سُلطَانِك ، سُبحَانَكَ لا نُحصِي ثَنَاءً عَلَيكَ أَنتَ كَمَا أَثنَيتَ عَلَى نَفسِك ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَه ، لَه الْمُلكُ وَلَهُ الحَمدُ يُحيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير ، وَأَشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُه . اللهُمَّ صَلِّ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الكَرِيم ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ الغُرِّ الْمَيَامِين ، وَمَن تَبِعَهُم بِإِحسَانٍ إِلَى يَومِ الدِّين.

أَمَّا بَعدُ فَيَا عِبَادَ الله ، فَأُوصِي نَفسِي وَإِيَّاكُم بِتَقوَى اللهِ تَعَالَى ، وَأَحُثُّكُم عَلَى طَاعَتِهِ وَالتَّمَسُّكِ بِكِتَابِه ، وَالالتِزَامِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَمِنهَاجِهِ إِلَى يَومِ الدِّين.

يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي القُرآنِ الكَرِيم: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُون} [سورة المؤمنون (60-61)] ، ويقول الله تبارك وتعالى: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير} [سورة البقرة (148)].

أيها الإخوة المؤمنون: في كلتا الآيتين دعوة إلى المسابقة والمسارعة في الخيرات ، والمسارعة في الخيرات هو شأن المؤمن ، والتنافس في الدين هو شأن المؤمن ، كما قال الإمام الحسن رحمه الله تعالى: "من نافسك في الدين فنافسه ، ومن نافسك في الدنيا فاجعلها في نحره" من نافسك في الدين فنافسه -قال الله تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُون} [سورة المطففين (26)]- ومن نافسك في الدنيا فاجعلها في نحره . لأن من كان همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه ، وشتت عليه شمله ، ولا يأتيه من الدنيا إلا ما قدر له ، أما الذي ينافس في أمور الدين ، والذي يسابق في الخيرات ، فهذا همه الآخرة وليست الدنيا ، ومن كانت الآخرة همه جمع الله عليه أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة.

أيها الإخوة المؤمنون: مُصطلحات المسارعة والمسابقة في القرآن الكريم ، أوضحها لنا سيدنا رسول الله في أحاديث كثيرة ، منها حديث عن سيدنا أبي هريرة يقول عليه الصلاة والسلام: (بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر ) [أخرجه الترمذي] هذه أمور ذكرها النبي ، وحث المؤمنين أن يسابقوا في العمل الصالح ، وأن يبادروا إلى فعل الخيرات ، فليس أمامهم إلا المرض أو الموت ، أو فتنة الدجال أو القبر ، ويحض النبي المسلمين أن يتخطوا هذه الفتن ، لأن أزمنة الفتن تَجعل الحليم حَيران ، ولأن الناس إذا دخلوا في زَمن الفتن ، ضَيَّعوا دِينهم ، وضيعوا أموالهم ، وأضاعوا أنفسهم . يقول النبي في حديثٍ عن سيدنا أبي هريرة قال: قال رسول الله : (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يُصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً أو يُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً ، يَبيع دينه بعرصٍ من الدنيا) [أخرجه مسلم] بادروا بالأعمال ، اغتنموا أوقاتكم ، هكذا يقول النبي عليه الصلاة والسلام ، استثمروا أعماركم قبل أن تكون فِتَنٌ كقطع الليل المظلم ، قبل أن تحل بكم فتن عظيمة ، تجعل الحليم حيران ، يُصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً ، ويُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً ، يَبيع دينه بعرصٍ من الدنيا . هذه الفتن -أيها الإخوة- حذر منها النبي ، وحذر مِن أَنْ ندركها أو أن تدركنا ، فنقع في أزمتها ونعاني من شرها ، لأنها ولا شك قادمة وستكون ، لأن الذي أخبر عنها هو الصادق المصدوق.

أيها الإخوة: والفتن كثيرة ، منها ما يكون في الشبهات ، ومنها ما يكون في الشهوات ، فهناك فِتن نتيجةَ شُبهةٍ ما ، في عقيدة أو عمل أو سلوك ، وهناك فتنة تقع نتيجة شهوة وحرص على الدنيا وتكالب عليها ، وهذا ما حذر منه سيدنا رسول الله . إنما الشاهد -أيها الإخوة- في قول النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو يحث على المبادرة: (بادروا بالأعمال) أي سابقوا وسارعوا وتنافسوا في العمل الصالح . يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: وكان رسول الله أجود الناس ، أي كان قدوة في المسابقة إلى الخيرات ، وفي المنافسة في الصالحات ، وكان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، فلرسول الله في الجود ، في السخاء ، في العطاء كالريح المرسلة ، لا يسبقه أحد ، بل يسبق الجميع عليه الصلاة والسلام.

ويحدثنا سيدنا عقبة أنه إذ قال صليت الفجر مع النبي فلما انتهى من صلاته قام عليه الصلاة والسلام يتخطى الرقاب حتى دخل إلى إحدى حجراته ، ثم عاد فقال عليه الصلاة والسلام لمن استغرب هذا الفعل منه: (ذكرت شيئاً من تِبرٍ عندنا -أي من ذهب كان في حُجراته عليه الصلاة والسلام- فكرهت أن يَحبسني فأمرت بقسمته) [أخرجه البخاري] ذكرت شيئاً من تبر -أي من ذهب- عندنا أي في البيت فكرهت أن يحبسني -أي عن عبادة أي عن طاعة ، كرهت أن يشغل قلبي أو يشغل ذهني وأن يصرفني عن طاعة الله تعالى- فأمرت بقسمته فقام إلى نسائه فأمرهم أن يوزعوا هذا الذهب على الفقراء.

أيها الإخوة: صحابة رسول الله لما وجدوا في رسول الله القدوة الصالحة ، وأنه كان سبَّاقاً إلى الخيرات وكان يسارع إليها ، كانوا على سَنَنِهِ وعلى طريقته ، وهذا سيدنا عمر بن الخطاب يقول: أمرنا رسول الله أن نتصدق ، ووافق ذلك مالاً عندي ، -أي كنت ذا مال- فأسرعت إلى بيتي وأحضرت نصف مالي ، فقال لي رسول الله : (كم أبقيت لعيالك ؟) فقلت: مثله يا رسول الله . ثم جاء أبو بكر فوضع ماله بين يدي رسول الله ، فقال: كم أبقيت لعيالك يا أبا بكر ؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله . فقال عمر : والله لا أسبقك أبداً ، والله لا أسبقك أبداً . هذه المسارعة وهذه المبادرة لم تكن لو لم يروا رسول الله أسبقهم وأكثرهم إنفاقاً ومسارعة في الخيرات.

ولما كان الصحابة يبادرون إلى الإنفاق في سبيل الله تبارك وتعالى أخذاً بِحَثِّ النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك ، فاسمعوا أيها الإخوة إلى حديث أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن مع رسول الله في سفر ، إذ جاء رجل على ناقة له ، فجعل يَصرفها يميناً وشمالاً ، فقال رسول الله : (من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) [أخرجه أبو داود] يقول أبو سعيد الخدري : ولا زال رسول الله يعدد حتى ظننا أنه لا حق لنا بالفضل.

أيها الإخوة: لعل موضع الشاهد في الخطبة كلها في هذا الحديث: (من كان له فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد ، فليعد به على من لا زاد له) الفضل في اللغة هو الزيادة ، وعندما نرى رسول الله يَحث أصحابه على إنفاق طعامهم الزائد ، أو على إنفاق مالهم الزائد ، أو على إنفاق متاعهم الزائد ، فإنما يريد عليه الصلاة والسلام أن يَكون في مجتمع المسلمين تَكافل فيما بين الناس ، أن يشعر الغني بألم الفقير ، أن يشعر الغني الواجد بألم الفقير الذي لا يجد ، وخاصة في عَصرِ الفتن ، وفي زَمن المدلهمات ، التي تواجه الناس في عصورهم وأيامهم ، وإذا كان هناك زمن يتعرض فيه الناس لمحن ، فليس هناك أعظم من المحنة التي نمر بها في هذا الوطن ، حيث أَقبل الشتاء الشديد البرد ، وأصبح الناس بحاجة إلى الوقود ولا يجدونه ، وأصبحوا بحاجة إلى الإنفاق وقل إنفاقهم ، وهناك تكالب علينا من الدول كلها ، في هذه التي سميت بالعقوبات الاقتصادية ، التي تهدف إلى تجويعنا ، وتهدف إلى النيل من كرامتنا وعزتنا ، ولكنهم لم يدركوا أننا أمة متكافلة متعاونة . قال الله في حقها يحثهم على التعاون: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [سورة المائدة (2)] ولم يدركوا أن أمة المسلمين تنفق على بعضها ، ولعل هذا الحديث الشريف (ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) فيه الحل لأزمة الغذاء في العالم ، إذا كان هناك أزمة غذاء وأزمة زاد وأزمة طعام ، ومجاعة في الصومال على سبيل المثال ، أو في جنوب السودان مثلاً ، أو في أفغانستان أو في أي بلد في العالم ، فليعلم العالم أن في ديننا وفي شريعتنا الحلول لأزمة الغذاء العالمي ، من خلال ذكر هذه الأحاديث التي ربما لا يبالي بها المسلمون ، ولنقرأ قراءة دقيقة في قول أبي سعيد الخدري : "حتى ظننا أنه لا حق لنا في فضل" لا حق لنا في زيادة ، كأن هذه الزيادة ليست من حقنا ، هذه الزيادة هي من حق الفقير الذي يتأوه ، من حق المسكين الذي يتألم ، من حق الجائع ومن حق الذي لا يجد ثمن وقود في هذه الأزمة ، من حقه أن نسعى له وأن ندعمه ، وأن نتكاتف معه ، وأن نتعاون حتى لا تؤثر علينا هِزة في هذا العالم ، وحتى لا يتضرر المسلمون بعقيدتهم التي تأمر بالتعاون ، والتي تأمر بالتكافل ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول لنا في حديث يرويه سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم ستون وثلاثمائة سلامة ، ابن آدم أي في كل ابن آدم ستون وثلاثمائة سلامة أو عظم أو مفصل ، 360 مفصل أو عظم في جسد الإنسان ، على كل واحد في كل يوم صدقة ، على كل واحد وعلى كل مفصل وعلى كل عظم وعلى كل سلامى في كل يوم صدقة ، كل كلمة طيبة صدقة ، وعون الرجل أخاه صدقة ، والشربة من الماء يسقيها صدقة ، وتبسمك في وجه أخيك صدقة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة ، فهذه الصدقات نوع من التكافل ، ولو أن تكون بسمة في وجه بائس ، ولو أن تكون عوناً لإنسان تقطع له الطريق ، أو تدل إنسان يهتدي ضل الطريق ، أو تمسك بيد أعمى فتقوده ، أو تزيل أذى عن طريق المسلمين كحجر أو شوك أو نحوه ، فتلك من الصدقات التي يتصدق بها الإنسان في يومه ، ومن الصدقات إنفاق الأموال في سبيل الله تفقداً لحوائج المحتاجين ، وخاصة في هذا الزمن وفي هذا الوقت الذي اشتد فيه البرد ولم يعد الناس يجدون ما يدفعون به عن أنفسهم هذا البرد ، فإذا كنا نهب لمساعدة فقراء مجاعة الصومال ، فنحن أولى في بلادنا ، أن نهب لمساعدة بعضنا ، وأن نتفقد الأسر الفقيرة ، وأن نتفقد الأماكن التي لا تتمتع بأي نوع من أنواع الحياة الهانئة المستقرة والآمنة ، لنكون لهم عوناً ، لعل الله سبحانه وتعالى أن يكون عوناً للبلد جميعاً ، والنبي يدعونا إلى التراحم فيما بيننا: (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) [أخرجه الترمذي] اللهم إنا نسألك أن تهيأ لنا من كل ضيق فرجاً ومخرجاً ، ومن كل عسر يسراً برحمتك يا أرحم الراحمين.

بتصرف